الفنون الإسلامية (خصائصها ومبادئها وعناصرها)

Islamic arts (its characteristics, principles and elements)

أ. سمير زيطران
معهد الآثار، جامعة الجزائر 02
الجزائر
samirzat8@gmail.com

الملخص:

لقد أسس الدين الإسلامي لحضارة وفنون راقية وكانت لأوامره ونواهيه النصيب الأعظم في نشأة الفنون وتطورها لأمة قأدت العالم لعدة قرون وامتد نفوذها من حوض البنغال وحدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا، ومن بلاد القوقاز وروسيا شمالا، إلى أواسط إفريقيا جنوبا، وتركت بصمتها في جميع الميادين العلمية والدينية والعمرانية ...، وسنسلط الضوء على ميدان من الميادين ألا وهو ميدان الفنون، والذي هو من أهم الميادين التي كان للدين الإسلامي تأثير كبير عليها، فقد أدى تحريم الإسلام للنحت وتصوير الأشخاص لنشأة فن مميز عن قبله، استغنى فيه الفنان على تصوير الأشخاص وذوات الأرواح، واهتم بتصوير جوانب الحياة الأخرى، وأدى هذا لتميز وروعة هذا الفن، وكذلك كان لتعدد الأعراق الدور العظيم في روعة هذا الفن وخاصة فيما يخص الزخرفة وكذلك الخط العربي الذي رسم به لوحات فنية غأية في الجمال .

وفي هذا المقال سنحاول إعطاء لمحة ولو بسيطة عن الفن الإسلامي، خصائصه ومبادئه، وبعض عناصره، وأيضا عناصره الأساسية .

الكلمات المفتاحية: الفن، الحضارة، الزخرفة، الآثار الإسلامية.

Abstract:

Islamic civilization is considered the most important civilizations known to human beings, not because we belong to them only, but of civilization for their participation in various fields, they are touched the spirit befor the brain, and among the most important areas that have affected them in the human "art of life"

He has the foundations of the Islamic religion to culture and arts upscale, and had orders and prohibitions greatest share in the genesis of the arts and its development of a nation led the world

for centuries and has spread its influence from the Bengal Basin and the limits of China's east to Andalusia in the west, and the Caucasus and Russia to the north, to central Africa to the south, and left their mark in all fields scientific, religious and urban ... and we will shed light on one of the fields, namely the arts field, which is one of the most important fields in which it was the Islamic religion a significant impact on them, has resulted in the prohibition of Islam for carving and photographing people for the emergence of art distinct from him, which axed the artist to photograph people and animate beings and is interested in filming the other aspects of life, and this led to excellence and magnificence of this art, and also had a multi-ethnic great role in the magnificence of this art, particularly with regard to the decoration as well as calligraphy with it who painted paintings so beautiful

In this article we will try give a glimpse even a simple Islamic art, its characteristics and its principles, and some of its elements, and also the basic elements

Keywords: art ،civilization ، decoration ،islamic archaeology.

مقدمة:

تعتبر الفنون الاسلامية ثمرة ونتاج تطور الفنون في الحضارات القديمة فمنذ العصور القديمة عرف الانسان أنواعا عديدة من الفنون كالنحت والرسم والتصوير وغيرها من الفنون، إلا أن مخلفات الحضارات لم تعرف جمالية ورونقا ورسالة إنسانية حضارية للفنون كالتي قدمها الفنان المسلم.

والفنون الاسلامية العربية هي وليدة الرؤية للكون والحقيقة والحياة تتمتع بخصوصية وامتياز، لكنها جزء من الرؤية الإسلامية الاشمل والاعم، وهي نتاج وحاصل للحياة الدينية التي ينأى العالم المتقدم عنها اليوم، ويضع عليها الحواجز مع وجود بوادر العودة إليها في أماكن هنا وهناك، فالفنون الاسلامية هي هويتنا أولا ومفخر لنا ثانيا وجب العودة إليها.

فهاته الفنون ذات العراقة الفريدة، وجدت وحدتها وسموها في العصور الوسيطة كما يسميها الغرب وأرى ان اطلق عليها اسم عصور النهضة والتطور للحضارة الاسلامية التي أدت إلى ظهور انواع من الفنون ابتداء من الخط وصولا إلى الحرف اليدوية والخوض فيها كالخوض في البحر إلا أننا سنحاول ابراز جزء من الفنون التي هي نتاج حضارة ابدعت وتركت بصمة في تاريخ البشرية لن يستطيع أي احد محوها او انقاص قيمتها .

1/ تعريف الفن الاسلامي :

الفن: الضرب واللون من الشيء، الجمع : أفنان وفنون .

فنن الناس: جعلهم فنونا : أنواعا، والثوب : جعل فيه طرائق ليست من جنسه، افتن الرجل في أحاديثه : جاء بالأفانين : أخذ في فنون القول، فتوسع وتصرف.

والفنان: صاحب الموهبة الفنية كالشاعر والكاتب والموسيقي والمصور والممثل[1] .

ويمكن تعريف الفن بأنه هو الإرادة اللازمة لتمثيل قدرة الإنسان غير المحدودة على الالتقاء بالآخرين وعلى تبادل الرأي والتجربة معهم[2] .

وعن طريق الفنون نستطيع أن ندرس أفكار عصر ما، وذلك لارتباطه الوثيق بأدب ذلك العصر وموسيقاه وفلسفته[3].

وأما الفن الإسلامي فإن التعاريف له قليلة ومن أهمها نجد ما ذكره الأستاذ مُحَمَّد قطب في كتابه المنهج الإسلامي ((الفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام ... وإنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود)[4] .

ويقول أيضا عن الفن الاسلامي بأنه الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق . فالجمال حقيقة هذا الكون، وهو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقاق الوجود[5].

ومن هنا فإن الفن هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان .

2/ خصوصيات الفن الاسلامي :

ككل الحضارات فإن فنون الحضارة الاسلامية تميزت حسب الباحث حامد سعيد في كتابه الفنون الاسلامية بـ :[6]

. أ/ التنزيه : أي الوقوف دون المحدود ودون الغاية المثلى.

ب/ العالمية : فهي للناس كافة، وهي أبعد عن الاقليمية والعصبية القومية والعنصرية .

ج/ الشمولية: فهي للحياة من المهد إلى اللحد إلى الجنة والنار والوصول إلى الله.

د/ الرؤية الحسابية للكون: الذي قدر فيه كل شيء بميزان حساب وعقاب، ثواب وعقاب، وملائكة وجن، فكل شيء بمقدار .

و/ التعلق بالسماء : مع عشق الحياة على الارض دون التعلق بها .

هـ/ النظر إلى الطبيعة : صنع الله :((الذي أتقن كل شيء)) ((وإن من شيء إلا يسبح بحمده)).

أما الباحث زكي مُحَمَّد حسن فيرى أن خصوصيات الفن الاسلامي تتجسد في[7]:

أ/ كراهية الفراغ :تتجسد في ملء الفنانين المسلمين إلى تغطية المساحات، وهربهم من تركها بدون زخرفة أو كتابة، مما يلفت في النظر للعمائر هو ازدحامها بالزخارف والكتابات وكثرتها واتصالها، ويعبر عنها الغربيون بالمصطلح اللاتيني Horor vacui أي الخوف من الفراغ .

ب/ الزخارف المسطحة : فالنتوء والبروز نادران في الرسوم الإسلامية، حيث انصرف المسلمون عن التجسيم إلى تغطية المساحات برسوم سطحية، ولكن التلوين خففا من وطأن هذا النقص.

ج/ البعد عن الطبيعة : لم يعمل الفنانون المسلمون على صدق تمثيل الطبيعة بقدر ما كانوا يرسمون الأشياء كما كان يصورها لهم خيالهم فطغت على فنونهم الاصطلاحات والأوضاع المبتكرة .

د/ التكرار : الموضوعات الزخرفية على العمائر والتحف الاسلامية تتكرر بكثرة، ويبرز هذا في المخطوطات الفارسية والتحف الخشبية في العصر المملوكي، واكثر الرسوم الموجودة بكثرة الأرابسك بالإضافة، الأشكال الهندسية، الطيور المتقابلة والمتدابرة.

و/ الرسم التوضيحي والصور الصغيرة : عني المسلمون ولاسيما الفرس والهنود ثم الترك بتوضيح الكتب الأدبية، وتزيين الدواوين الشعرية بالصور الصغيرة وأقدم ما وصل إلينا يرجع إلى القرن الثاني عشر، وأغلبه توضيح لكتاب كليلة ودمنة.

3/ مبادئ الفن الاسلامي :

تقوم الحياة الاسلامية على أصول ثلاثة : القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد، ويظهر هذا جليا في التفاعل بين المصدرين الأساسيين للتشريع الاسلامي وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مع الاجتهاد، وإليه يدعو المصدران الأساسيان، ونتيجة لهذا التفاعل تطور ونمى الفكر الاسلامي وانعكس على جوانب الحياة المختلفة.

فالرؤية الإسلامية شغفت بالتفكر في مخلوقات الله عز وجل، وأيضا التدبر في معاني القرآن الكريم والذي يضرب الأمثال للناس في الحياة ونجد هذا في قوله عز وجل (﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾) **[سورة آل عمران الآيات : 190-191]**.

والإسلام كذلك يدعو لأمر غاية في الأهمية من الناحية الفنية، وهي الدعوة لإتقان العمل والتفاني في التجويد وفي ذلك يقول نبي الهدى ﷺ ((**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**)). رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في السلسلة لشواهده، وفي رواية أخرى (**إن الله يحب من العامل إذا عمل عملاً أن يحسن**). صححه الألباني.

ولقد كانت الرؤية الإسلامية هي الجامعة بين شعوب الأرض التي آمنت بالإسلام . العربي وغير العربي . وقد كانت هذه الشعوب تأخذ لب الرؤية الإسلامية بما فيها من بساطة أخاذة، سرها التوحيد والتنزيه، رؤية تكشف عن آيات الله في الآفاق والأنفس.

إضافة لتأثير الدين الاسلامي على الفنون إلا أنها لم تكن بمنأى عن تأثيرات الحضارات السابقة لها، فقد كانت فنون حضارات الشرق القديم تزدحم بالنماذج الدينية والفردية المستبدة لطبقة الحكام، وفرضت عليها شخصية الهيبة الإلهية سواء كانت مادية أو معنوية أو خرافية وهمية ونلاحظ هذه الظاهرة كذلك في الفترات

اليونانية والرومانية، غير أنها أكثر إتقانا وتكاملا بحيث أصبحت نماذج الفنون اليونانية والرومانية الرائعة تمثل لمسات فنية وكأنها تنطق بقدرة الآلهة، بل كأنها معجزاتهم في المجتمع[8]، ثم نجد الفترة الثانية والتي تأثرت فيها الفنون بالأفكار والمفاهيم الجديدة التي جاء بها الفكر والعقيدة المسيحية، وبعد أن لاقت هاته الديانة القبول في الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية)، انتهت فترة الفنون الوثنية لتفسح المجال لهاته الأفكار الجديدة التي مصدرها كتاب الإنجيل باعتماد شخصية المسيح وتاريخ كفاحه،وتم تصوير المسيح مثل الآلهة القديمة من أمثال (زيوس) كبير آلهة اليونان، أو أمثال الآلهة عند الرومان[9].

4/ نشأة الفنون الإسلامية:

كما قلنا سابقا فإن للدين كما للحضارات السابقة الدور الكبير في نشأة وتطور الفنون الإسلامية، وتأثر على الأخص بمصدرين فنيين وهما الفن البيزنطي والفن الساساني، ويلاحظ اقتباس التعبيرات الفنية من هذين المصدرين ووجودهما جنبا إلى جنب في الآثار الإسلامية الأولى، مثل واجهة قصر المشتى التي ترجع إلى القرن الثامن ميلادي، والصور المرسومة على قصير عمرة حوالي 712 م[10]، وكذلك نجد للفن القبطي المسيحي تأثيرا كبيرا في الفنون الاسلامية[11]، ولكن الفن الإسلامي جاء مغايرا لماسبقه من فنون الحضارات السابقة فلم يعد هناك أي مجال لتصوير الآلهة واعتبر المسلمون أن الفنون القديمة صورة من صور الديانة القديمة، ونجد هذا الكره للتصوير في حديث النبي ﷺ . روى البخاري ومسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**».، ولكن بعد انتقال العاصمة الإسلامية على يد الأمويين إلى دمشق واستقرار الأمر لهم بعد الفتن التي عرفها العالم الاسلامي، بسبب الموجات الشديدة التي عرفتها الدولة الاسلامية في بداياتها من حروب الردة وحروب علي ومعاوية رضي الله عنهما، حدثت تغييرات كبيرة على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ونرى هذا ظاهرا منذ بداية حكم الخليفة عبد الملك بن مروان (65 هـ . 86 هـ) (685 . 705 م)، ومن أهم وأقدم النماذج التي ظهرت فيها صورة الفن الاسلامي بصورته الكاملة نجد قبة الصخرة، أو جامع عمر لأن الخليفة عمر بن الخطاب أقام فوق الصخرة مصلى، ثم شيد الخليفة عبد الملك بن مروان على أنقاضه البناء الحالي سنة (66هـ . 691م)، وهو على شكل مثمن فوقه قبة عالية تغطيها فسيفساء عليها زخارف باللونين الأخضر والذهبي، والقبة محمولة على دائرة من الأعمدة الضخمة من الرخام الأخضر، وذات تيجان مذهبة .

وبذلك فإن قبة الصخرة احتوت على ثلاثة نماذج مثلت جمالية ورونق الفن الإسلامي كما رسمت شخصيته وخصوصيته بين الفنون الأخرى فمنذ عهد عبد الملك بن مروان تم وضع الأطر الأساسية للفنون الإسلامية والتي تتمثل في :

1/ الزخرفة بأنواعها

2/ الخط العربي الإسلامي بأنواعه المختلفة

5/ العناصر الأساسية للفن الإسلامي :

ذكرنا سابقا بأن قبة الصخرة هي النموذج الأول والأصلي لبداية ظهور الفن الإسلامي وانتشار عناصر فنية ميزت هذا الفن عن الفنون التي سبقته، ومن أهم هاته العناصر التي رسمت معالم فن راق اهتم بأدق التفاصيل ورسم صور فنية لم يعرف لها العالم مثيلا ومن أهم العناصر الفنية الإسلامية نجد :

أ/ الزخرفة :

هي إضفاء الشكل الجميل على المضمون أو التعبير، وهي من الفنون التابعة، وبعبارة أصح هي تمثل الموضوع بالخطوط والأشكال والظلال، وهي كالظل بالنسبة للعمل الفني وتتصل بالفنان وذوق المشاهد، وهذا كله بغرض جعل المحسوس لغة أصلية تحمل طابع الطراز أو الأسلوب، وهي تعتمد دائما إلى جعل الموضوع محسوسا معبرا[12].

والموضوع في فن الزخرفة الإسلامية هو تلك الزخارف صورا كانت أو أشكالا أو أحجاما من الكائنات الحية أو المواضيع الكتابية أو النباتية أو الهندسية وما يتخللها من تصميم ومزج وما إلى ذلك، والتي نجدها في المواد المختلفة كالفخار والخزف والمنسوجات والتحف المختلفة.

وفي عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده كان يغلب على الجماعة الإسلامية البساطة في العيش ولم تكن مهتمة بترف الحياة وكانت حياتها مقصورة في الجهاد وتبليغ الدين .فلم يكن المجتمع الإسلامي حينئذ مرتعا خصيبا للفنون الجميلة بأنواعها[13] ويقول العلامة بن خلدون في هذا (فكان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة أو البنيان أو الإسراف من غير قصد)[14].

وقد ابتعد الفن الإسلامي عن تصوير ذوات الأرواح من حيوان أو إنسان وذلك لتحريم الإسلام مضاهاة خلق الله في الرسومات سواء على المباني أو الأواني أو الملابس وفي هذا نجد حديث النبي ﷺ **(عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم) . رواه البخاري ومسلم . .**

ويرى أغلب المستشرقين بأن الدين الاسلامي لم يحرم التصوير بل إن بعض العلماء المتشددين هم من حرموه. يرى المستشرق الألماني بأن القرآن لم يأت لتحريم التصوير، والأحاديث النبوية الكثيرة لا تكفي للتحريم، وأن المنع من التصوير لم يحدث أبدا، ولم يحرم التصوير بصورة دائمة ومؤكدة، ولا تصوير الشخصيات الإنسانية نفسها.

وقد أدى تحريم التصوير والتجسيم إلى نشوء فن رائع هو الزخرفة النباتية والهندسية التي حوتها المباني الإسلامية خاصة في المغرب والأندلس. وقد عرف المسلمون بهذا الفن حتى قيل أن الفن الإسلامي فن زخرفي، ذلك لأنه لا يخلو أثر إسلامي من الزخرفة بدأ من الأواني والتحف الصغيرة وانتهاء بالعمائر الضخمة .

ولقد تأثر الفنانون المسلمون في بداياتهم بالفنين البيزنطي والساساني ويلاحظ اقتباس التأثيرات الفنية من هذين المصدرين ووجودهما جنبا إلى جنب في الآثار الإسلامية الأولى مثل فسيفساء قبة الصخرة 72هـ /692م . وواجهة قصر المشتى.

وبذلك كما قلنا سابقا فإن الزخرفة والتي هي أهم جزء في الفن الإسلامي نشأت في العصر الأموي وتطورت في العصور اللاحقة .

1/ الزخرفة النباتية:

تقوم الزخرفة النباتية أو ما يسمى فن " التوريق "، وهي زخارف مشكلة من أوراق النبات المشكلة والزهور المنوعة، وقد أبرزت بأساليب من إفراد ومزاوجة وتقابل وتعانق ... وفي كثير من الأحيان تكون الوحدة في هذه الزخرفة المؤلفة من مجموعة من العناصر النباتية متداخلة ومتشابكة ومتناظرة تتكرر في صورة منتظمة[15].

وقد انتشر استعمال هذه الزخارف في المجالات المختلفة وفي تزيين الجدران والقباب وفي التحف المختلفة نحاسية وزجاجية وخزفية وفي تزيين صفحات الكتب وتجليدها.

وقد تكون هذه الزخرفة ثنائية الاتجاه كما هو الغالب في الزخرفة التي نراها على الحيطان والأبواب والسقوف والسجاد والاثاث وكذلك الكتب و اغلفتها وقد تكون ثلاثية الاتجاه كما ترى في الاعمدة او العقود وفي المقرصنات في اعالي البوابات وجدران القباب [16]

وقد عرفت زخارف التوريق في فنون ما قبل الإسلام بأشكال مختلفة ولكنها بشهادة غير المسلمين من دارسي الفنون ومؤرخيها، قد اخذت بعد انتشار المسلمين شكلا آخر، أساسه التنويع والتتابع، والتحوير خلال انتشار الإسلام .

ونجد كذلك نوعا آخر من الزخرفة النباتية يدعى بزخرفة الأرابسك وهي زخارف مكونة من فروع وجذوع منثنيه ومتشابكة ومتتابعة، وقد بدأ ظهورها مع القرن9م، فنراها في التحف والزخارف الجصية التي كانت تغطي الجدران في مدينة سامراء بالعراق، وفي مصر إبان الدولة الطولونية، وذلك لنشأة احمد بن طولون مؤسس هاته الدولة في سامراء ورغبته في نقل هذا الفن إلى مصر، كما نرى زخارف الأرابسك بكثرة على التحف الخشبية التي عثر عليها بسامراء، أو التي ترجع إلى العصر الطولوني .وتطورت زخارف الارابسك في العصر الفاطمي بشكل كبير، لتصل لقمة عظمتها في العصر الفاطمي.

2/ الزخرفة الهندسية:

عرفت الفنون التي سبقت الإسلام استعمال الكثير من الأشكال الهندسية، ولكن لم يكن لها شأن كبير واستعمال واسع، وكانت في الأغلب تستعمل كإطار لغيرها من الزخارف. أما في الإسلام فقد أصبحت شكلا أساسيا من أشكال الزخرفة.

وقد انتشر في الحضارات التي سبقت الإسلام وخاصة البيزنطية والساسانية استعمال بعض الأشكال الهندسية في الزخرفة كالمربعات والدوائر والمعينات والأشكال الخماسية والسداسية الخطوط المنكسرة والجدائل المزدوجة[17] . أما الحضارة الإسلامية فقد تميزت أيما تميز في الزخرفة الهندسية ولاسيما في عصر المماليك بمصر (ق 13م . 16م) (7 هـ . 10هـ)، فقد انتشرت تراكيب هندسية غاية في الروعة ذات أشكال نجمية متعدد الأشكال، والمضلعات المختلفة، والدوائر المتداخلة ...، وقد زينت هذه الزخارف المباني، استخدمت في التحف الخشبية، والأواني النحاسية، وفي الصفحات الأولى المذهبة للكتب والمصاحف.

وللزخرفة الهندسية أهمية كبيرة في الفن الإسلامي مثلها مثل النباتية لمطابقتها كما قلنا سابقا للمنهج الإسلامي من حيث الابتعاد عن تجريد المخلوقات وتقليد خلق الله عز وجل.

وقد استطاع المسلمون استخراج أشكال هندسية متنوعة من الدائرة، منها المسدس والمثمن والمعشر، وملء بعض المساحات وترك الآخر فارغا وبالتالي الحصول على عدد لا حصر له من الزخارف البديعة التي تستوقف العين لتتنقل بها رويدا رويدا من الجزء للكل ومن كل جزئي لكل أكبر [18]

ب/ الخط العربي:

الخط العربي هو من أهم الفنون التي أتقنها المسلمون وزين عمائره وأثاثه وكتبه به، وهو اشارة معبرة مبهجة، تختلف عن أية صفة من صفات الفرح المجاني وإن كانت تلامسه.

والخط لغة هو: السطر والكتابة والتحرير ونحوهما مما يخط

واصطلاحا هو فن تحسين الخطوط، وتجويد الكتابة، وقد أطلق على من يمارس هذا الفن بالخطاط وقديما كان يطلق عليه اسماء مثل (كاتب،كتاب، وراق، محرر)[19]

اختلفت الآراء عن أصل الخط العربي إلا أن الذي لا يختلف فيه وجود خط عربي قديم يدعى بالخط النبطي نسبة للأنباط، الذين أسسوا مملكة شملت الأردن وفلسطين وشمال الحجاز وبعد زوال مملكتهم في القرن 2م استمرت كتابتهم وخاصة عند الأعراب في شمال الجزيرة العربية والصورة الأولية للخط العربي لم تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطي، إلى أن أخذه عرب الحجاز في القرن 5 و 6 م، وكان هذا الخط على شكلين هما : "الخط المقور" وهو الخط اللين والذي يستعمل عادة في المراسلات والكتابات المتعددة، و"الخط المبسوط " وهو الخط اليابس المستعمل في النقش على المحاريب وأبواب المساجد وفي جدران الميباني وكتابة المصاحف[20]

ولما بنيت الكوفة سنة 18هـ نزح إليها من بقي من أهل الحيرة والأنبار لحلولها محل مدينتهم، وانتشر فيها الخط نسبة إلى مدينتهم، وانتشر بين سكانها وجادوا فيه، وكانت كل مدينة ينسب إليها خطها، ففي الكوفة بالكوفي والمدينة بالمدني ومكة بالمكي ....

وقد كان من أشهر خطاطي النبي ﷺ أبو بكر وعثمان وعلي وأبو سفيان وابنه معاوية، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص وولداه، وعمر بن العاص،وخالد بن الوليد . رضوان الله عليهم.

وكان للعرب القدم الثابتة في هذا الفن، بل يكاد يكون هو فنهم الوحيد الذي برعوا فيه براعة عظيمة، حتى أصبح صناع الكلمة . الشعراء والخطباء . هم ذوو المكانة في القبيل وأصحاب الشأن[21].

ولقد أعطى العرب الخط الجميل عناية خاصة عند كتاب القرآن، منطلقين من مبدأ هو في الواقع قول علي بن أبي طالب ﷺ ((**الخط الجميل يزيد الحق وضوحا**))، وكذلك قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ((**الخط لسان اليد**))، وبذلك فإن الخط الجميل كان موازيا في أهميته للتجويد للقرآن.

والخط العربي مرتبط بالكلمة العربية ذات الصفة العضوية، والتي تحمل بصورتها الصوتية مصدر استلهامها

وقد أجمعت مختلف المصادر الإسلامية التي تناولت الخط العربي كالكامل لابن كثير وصبح الأعشا في صناعة الإنشا للقشندي ...بأن الخط لم ينل عند أمة من الأمم ذوات الحضارة، ما ناله عند المسلمين من العناية به، والتفنن فيه، فاتخذوه بادئ الأمر وسيلة للمعرفة، ثم ألبس لباسا قدسيا من الدين.[22]

ولهذا كان فن الخط العربي فنا إسلاميا خالصا، فهو من صنع هذا الدين وله ارتباطه الوثيق بكتابه الكريم. ولم يسبق للكلمة أن كانت فنا مرئيا في أمة من الأمم قبل نزول القران الكريم

وتنوع الخط العربي وتعددت أنواعه وواكب التطور الذي عرفته الحضارة والفنون الإسلامية فمن الخط الكوفي والنسخي في بداية الإسلام إلى عدد كبير من الخطوط والتي شكلت مخفرا للثقافة والحضارة الاسلامية، واستخدم في زخرفة المباني خاصة ورسمت بواسطته لوحات فنية رائعة ومن أهم الخطوط التي عرفها المسلمون نجد :

. الخط الكوفي : وهو الخط الذي حمله الفاتحون وهو من أول وأهم الخطوط، وكل النسخ الخطية من المصاحف مكتوب بهذا الخط. الذي جوده علماء الكوفة، الذين اقتبسوه من أحد الخطوط القديمة لجزيرة العرب [23]

. الخط النسخي

. خط الثلث

. الخط الأندلسي المغربي

. خط الرقعة

. الخط الديواني

. خط التعليق

. خط الإجازة ....

وقد تفرعت هاته الخطوط بدورها إلى خطوط اخرى فعلى سبيل المثال تفرع الكوفي مثلا إلى:

. الكوفي المورق

. الكوفي المزهر الكوفي المنحصر

. الكوفي المعشق أو المظفر والموشح

د/ العمارة :

تعتبر الحضارة الإسلامية من بين الحضارات الفريدة التي انفردت باستخدام العمارة واستخدامها لإضفاء لمسة فنية رائعة على مبانيه، ومن بين العناصر المعمارية التي استخدمها الفنان المسلم في ذلك نجد :

1/ العقود : العقد عنصر معماري مقوس، يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو اكثر، ويشكل عادة فتحات البناء أو ما يحيط بها، وهو يتألف من عدة حجارة، الواحدة منها تسمى فقرة أو صنجة[24] .

والباحثون يرجعون نشأة العقود إلى بلاد الرافدين، حيث يندر الشجر ويقل الحجر، وكانت مادته الأولى الطين والآجر، من دون شك أتاح الفرصة للتحرر من القيود التي فرضتها مادتي الخشب والحجارة، وأقدمه ما وجد في العراق ويعود إلى سنة 2900ق.م .[25]

ولقد تنوعت أنواع العقود في العمارة الإسلامية، واتخذت أشكالا عديدة ومختلفة، ومنها العقد المزخرف بالمقرصنات ونجده في الطراز الإسباني المغربي، والعقد النصف الدائري والعقد النصف البيضوي والعقد ذي حذوة الفرس، وهذا الاخير نجده في الشام والمغرب، والعقد ذي الفصوص والعقد ذي الثلاث فصوص والعقد الفارسي[26] .

نمادج لأنواع العقود بزوايا منطقة ميلة

2/ المقرصنات :

المقرصنات عبارة عن تقنية زخرفية يدوية ابتكرها الفنانون المسلمون ، قوامها أشكال بسيطة وثابتة، حيث تلتحم مع بعضها البعض ، إما عن طريق التعشيق أو التركيب المتسلسل في الاتجاه العمودي والمتطابق والأفقي المتجاور بكيفيات رياضية دقيقة جدا[27] .

وقد اتخذت المقرصنات من أربع مواد اولية أساسية خفيفة ، حتى لا تؤثر بثقلها على العناصر المعمارية المشيدة ، إذ نجدها إما مشكلة بالآجر أو مقولبة في الجص او محفورة على الخشب أو منحوتة على الصخر[28] .

نماذج عن المقرنصات في فن العمارة الاسلامية

3/ الأعمدة:

الأعمدة هي من أهم العناصر المعمارية من حيث وظيفتها التي تتمثل في حمل السقوف ، بالإضافة إلى عنصرها الجمالي الذي تضفيه على المباني ، وقد استعملت الأعمدة منذ القديم ، فنجدها في الجميع الحضارات القديمة ، واستخدمت كذلك في الحضارة الإسلامية حيث جاءت في المسجد النبوي على شكل جذوع النخيل ، وتطورت بعد ذلك واتخذت من الآجر ثم من الحجارة ، ثم نجدها قد تعددت مواد بنائها وأشكالها

ولقد بلغت تطورا كبيرا في مصر خاصة في عهد الدولة الطولونية إذ نجد ظهور الأعمدة المثمنة وكذا الأعمدة الرخامية المزينة بالزخارف النباتية ، ونجد ذلك في الأعمدة الموجودة في أسوار القاهرة وأبوابها وكذلك في المساجد كمسجد الظاهر بيبرس[29] .

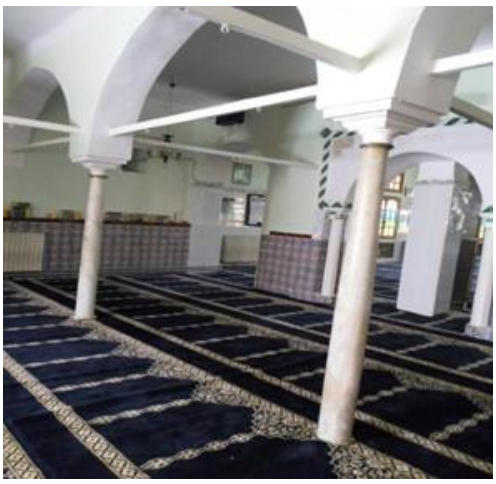

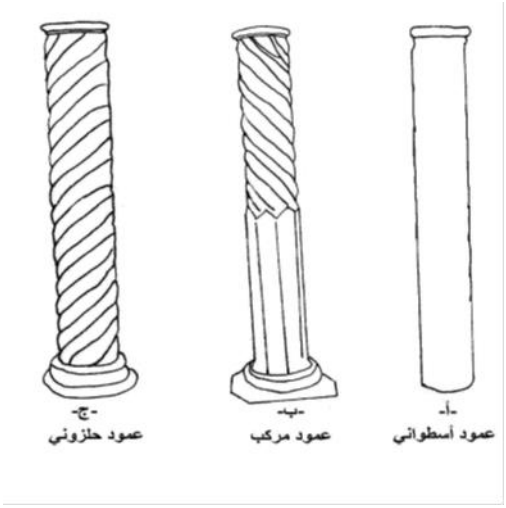

نماذج من الأعمدة بإحدى زوايا الشرق الجزائري

4/ التيجان :

التاج هو ما كان في أعلى العمود متمما ومزينا له، ولقد استعمل عنصر التيجان منذ القديم ، وانفردت كل حضارة بالتاج الخاص بها، فمنه التاج الفرعوني ، والتاج الإغريقي ، والتاج الروماني.

وقد تميز المسلمون بتيجانهم الخاصة فقد جاءت على شكل كأسي على هيئات حلقات ولفائف أو عناصر مروحية انتشرت في الفنون الزخرفية الإسلامية، وأصبح من مميزاتها[30] .

الخاتمة :

إن موضوع الفنون الإسلامية موضوع طويل ومعقد ولا يكمن اختزال هذا الفن الجميل والمبدع في عدد من الصفحات ولا عدد من المجلدات ، فالفن الإسلامي هو مرتبط بالدين والمجتمع والبيئة والتقاليد للأمة الإسلامية ، كما أنه متنوع بتنوع الأقاليم والشعوب التي ساهمت كلها في الحضارة الإسلامية ، وتركوا بصمتهم فيها ، فالملاحظ للفن الإسلامي يجعله يستنتج بأن الفن الإسلامي ليس فنا خاصا بمنطقة او شعب أو عرق أو دين معين بل هو فن عالمي ساهمت فيه كل الشعوب ، ورغم ما لاقاه التاريخ والحضارة الإسلامية من طعن فيها من طرف المستشرقين الحاقدين على أهم وأرقى حضارة عرفتها البشرية، إلا أن هناك من الغيورين على هاته الحضارة من قاوم بقلمه هاته النظريات المجحفة في حق الحضارة الإسلامية، ونتمنى أن يكون اهتمام أكثر بهاته الحضارة التي هي هويتنا وانتمائنا وأيضا هي مفخرة لنا.

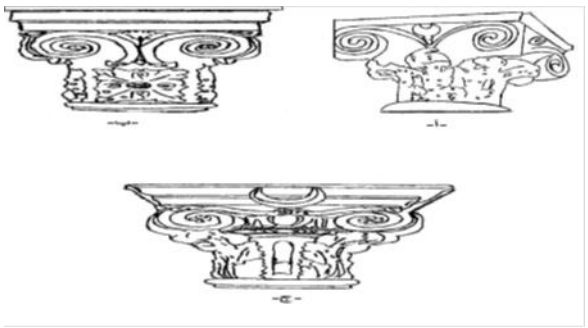

نماذج للتيجان استعملت في داخل العمارة الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع :

1) حامد (سعيد)، الفنون الإسلامية . أصالتها وأهميتها، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2001.

2) م . س ديماند ، الفنون الإسلامية ، ترجمة ن احمد عيسى ، مراجعة وتقديم ، أحمد فكري ، دار المعارف ، مصر ، د . ت .

3) زكي (مُحَمَّد حسن) ، في الفنون الإسلامية ، مطبعة اتحاد أساتذة الرسم ، د. ت ، مصر .

4) صالح (أحمد) ، الشامي : الفن الإسلامي . التزام وإبداع . دار القلم ، ط1، دمشق ، 1990.

5) عفيف (بهنسي) : جمالية الفن الإسلامي ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة وزارة الفنون والآداب ، عالم المعرفة ، ع 14 ، الكويت ، 1990.

6) داليا (أحمد الشرقاوي) ، الزخارف الإسلامية والمستفادة منها في تطبيقات معاصرة ، رسالة ماجستير في الفنون التطبيقية تخصص زخرفة تطبيقية ، جامعة حلوان ، مصر ، 2000.

7) أياد (خالد الطباع) ، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2011.

8) مُحَمَّد (عيسى صالحية) ، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ج1، القاهرة 1992م.

9) بته (مرزوق) ، الزخرفة المعمارية في المغرب الأوسط ، خلال الفترة (5. 7 / 11. 14م) ، دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2009م.

10) فريد (الشافعي) ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، مج1، عصر الولاة ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1970م .

11) شرقي (الرازقي)، تطور المقرصنات في عمارة المغرب الإسلامي (7.5 / 11. 13) ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ،1999. 2000.

12) حسن (زكي مُحَمَّد) ، الفن الإسلامي في مصر، دار الرائد العربي ، بيروت 1981.

الهوامش:

[1]) حامد سعيد: الفنون الإسلامية ـ أصالتها وأهميتها، دار الشروق، ط1، القاهرة، ص14، 2001

[2]) نفسه،ص 14.

[3]) م . س ديماند : الفنون الإسلامية، ترجمة ن احمد عيسى، مراجعة وتقديم، أحمد فكري، دار المعارف، مصر، د ـ ت، ص 15

[4]) نفسه، ص 16.

[5]) نفسه ص 16

[6]) حامد، سعيد: المرجع السابق، ص 15.

[7]) زكي، مُحَمَّد حسن : في الفنون الإسلامية، مطبعة اتحاد أساتذة الرسم، د ت، مصر، ص 19.

[8]) م .س ديماند : المرجع السابق، ص17.

[9]) نفسه، ص 17.

[10]) صالح، أحمد : الشامي : الفن الإسلامي ـ إلتزام وإبداع ـ دار القلم، ط1، دمشق،1990، ص 18.

[11]) نفسه، ص 19.

[12]) عفيف،بهنسي : جمالية الفن الإسلامي، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة وزارة الفنون والآداب، عالم المعرفة، ع 14، الكويت، 1990، ص 28.

[13]) صالح، أحمد الشامي : المرجع السابق، ص 20.

[14]) نفسه، ص 21.

[15]) داليا، أحمد الشرقاوي : الزخارف الإسلامية والمستفادة منها في تطبيقات معاصرة، رسالة ماجستير في الفنون التطبيقية تخصص زخرفة تطبيقية، جامعة حلوان، مصر، 200 ن ص 24.

[16]) عفيف، بهنسي : المرجع السابق، ص 30.

[17]) حامد سعيد : المرجع السابق، ص 44.

[18]) زَكي مُحَمَّد، حسن: المرجع السابق، ص 122.

[19]) أياد، خالد الطباع : المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص 45

[20])أياد، خالد الطباع، المرجع السابق، ص 46.

[21]) مُحَمَّد، عيسى صالحية : المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، المنظمة العربية وللتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، ج1، القاهرة 1992م، ص 49.

[22]) مُحَمَّد، عيسى صالحية، المرجع السابق، ص 50.

[23]) أياد ابو الطباع : المرجع السابق، ص46.

[24]) بته مرزوق : الزخرفة المعمارية في المغرب الأوسط، خلال الفترة (5. 7/ 11. 14م)، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009م،ص 34.

[25]) نفسه، ص 34.

[26]) نفسه، ص 29.

[27]) فريد ، الشافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ج1، عصر الولاة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1970م ،ص 51.

[28]) شرقي ، الرازقي : تطور المقرصنات في عمارة المغرب الإسلامي (75/ 11. 13) ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر، 1999. 2000، ص ص 30. 32.

[29]) حسن ، زكي محمد : الفن الإسلامي في مصر ، دار الرائد العربي ، بيروت 1981، ص 265.

[30]) بتة ، مرزوق : المرجع السابق ، ص 37.